

جذور الأسلوبية

د. زعدودة دياب مروش
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الحاج لخضر بباتنة

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى رصد العلاقة بين الأسلوبية والأسلوب الذي يعد المحور الذي تدور حوله الأسلوبية رغم مجالها الرحب الشاسع، ثم علاقة اللغة بالأسلوبية التي تظهر في استحواد هذه الأخيرة على مجالات الأداء اللغوي، وتقف على ما تهيئه الألفاظ والتراكيب من قيم تعبيرية. أما العلاقة بين الأسلوبية والبلاغة فهي علاقة سابق بلاحق، لا يستغني أحدهما عن الآخر. وبذلك تتجلى جذور الأسلوبية المتأصلة في "ديوان العرب"، وما تضمنه القرآن الكريم والحديث الشريف، وما جادت به بلاغة الصحابة وفصاحتهم، ثم ما جاء به علماء العربية من آراء وأفكار تنصب كلها في قالب الأسلوبية. وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتيجة تتمثل في كون الأسلوبية علم يهتم بدراسة النصوص الأدبية، حيث يتسع مجاله ويلين ليحاوّر علم اللسانيات بجميع فروعته ومناهجه، بالإضافة إلى علم النفس وعلم الاجتماع. كما استوقفنا عند حقيقة بالغة الأهمية وهي أن فكرة الأسلوبية وما ترتكز عليه من موضوعات لا تعد فكرة جديدة، وإنما وجدت موزعة في التراث العربي اللغوي والبلاغي، لكن الجديد فيها أنها علم كباقي العلوم الأخرى يخضع للملاحظة والاستنتاج.

Abstract

This study aims at depicting the relation that exists between stylistics and style which represents the pivot around which turns stylistics despite of its wide scope. Then, we will talk about the relation between language and stylistics which lies in the control of this latter on the different aspects of language performance and deals with the expression values contained in utterances and structures. But the relation between stylistics and rhetoric is a former and later relation in which each one depends on the other, and hence appear the roots of stylistics in the "Diwan al Arab", and what is contained in the holy Quran, the sayings of the prophet, and the ideas and views of the Arabic scholars who dealing with stylistics.

This study reached the result that stylistics is a sciences which deals with the literary texts where its scope is varied to approach linguistics with all its branches and methodologies. In addition to psychology and sociology. We also noticed an important reality claiming that stylistics is not a new idea, but it has always existed in the Arab linguistic and rhetoric patrimony, but what is new is that it is a science like other sciences depending on observation and conclusion.

مقدمة:

إن مباحث الأسلوبية كثيرة في عددها، متشعبة في سبلها متباينة في نظرياتها، بحيث لا نستطيع حصرها والإلمام بها. فمنذ ظهورها وهي شديدة الصلة بالعلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع، علم النفس، وعلوم اللغة التي تعد اللسانيات العامة أساسها الأول، فلا عجب أن تولد الأسلوبية في رحم هذا العلم (اللسانيات) وقد أشار شارل بالي إلى ذلك عندما اعتمد اللغة المنطوقة الحقل الخصب لدراسة الأسلوبية، والوقوف على خصائصها، خلافا لاستاده دي سوسير الذي أولى أهمية بالغة للسان دون الكلام.

ولا تقف علاقة الأسلوبية بغيرها من العلوم عند هذا الحد، بل إنها ترتبط بالمناهج العلمية المتعلقة بدراسة النصوص الأدبية وفي مقدمتها المنهج البنيوي حيث انتهى عبد السلام المسدي إلى التفرقة بين البنيوية وبين الأسلوبية التي تعتبر علما قائما بذاته خلافا للبنيوية التي تعد منهجا من المناهج الخاصة بدراسة النصوص، كما أنها لا تعتمد على البناء النصي فقط بل تمتد الأسلوبية لتتوغل في النصوص، وتمتد صلتها بالنقد الأدبي.

غير أننا ونحن بصدد إنجاز هذا البحث نحاول أن نركز على موضوعات محددة، يتناولها الدرس الأسلوبي، وهي الوقوف على الجذور الأولى لهذا العلم في التراث اللغوي العربي، بدءا مما حملته لنا "ديوان العرب" من كلام فصيح وبليغ، فائق الروعة والجمال، نابع من سليقة عربية متأثرة ببيئة بدوية خالصة. ثم ما انفرد به القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من أسلوب فاق كل الأساليب، مرورا بأقوال الصحابة رضي الله عنهم، إلى عصر الجاحظ ومن جاء بعده من علماء اللغة والبلاغة. وقبل الغوص في ذلك، وانطلاقا من مسلمة الاستفسار عن حقيقة الموضوع وجوهره في أي قضية علمية مطروحة للدراسة والتحليل تمة أسئلة عن جوهر القضية وهي: ما هو الأسلوب وما علاقة الأسلوبية باللغة والبلاغة؟ ما هي جذور الأسلوبية في التراث اللغوي العربي؟

الأسلوب:

جاء في لسان العرب، ان الأسلوب يقال للشطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال انتم في أسلوب سوء، والأسلوب الفن، يقال اخذ فلان في أساليب القول اي افانين من القول.¹ اما التعريف الاصطلاحي فقد تعددت الاراء وتباينت في تعريف الأسلوب :

يعرف الكاتب الفرنسي جورجز بوفون الأسلوب بقوله: "الأسلوب هو الشخص نفسه"،² حيث انطلق من قناعة ان الأسلوب لا يمكن ان يسرق او ينقل او يلغى، بل يظل معبرا عن كاتبه، وقد ايد بوفون في تعريفه هذا مقولة ليسينغ "ان لكل فرد أسلوبه الخاص كانفه الخاص به."

اما شارل برونو فقد عرف الأسلوب "الأسلوب هو إجمالي المزايا والخصائص التي يصفها الفرد في الاثر المكتوب والمنطوق معتمدا على المادة التي تضعها اللغة بين يديه".³ وقد اكدت اللسانيات الحديثة ان اللغة المنطوقة تسبق اللغة المكتوبة، لانها اقدم واوسع انتشارا من الكتابة، ولان هذه الاخيرة (الكتابة) تعود إلى وحدات وعناصر من اللغة المنطوقة. وباستعمال الإنسان للنظام اللغوي يقوم بانتقاء إمكانيات لغوية وتنظيمها وتنسيقها في عملية تجاورية تبادلية خاصة، وتساعد في هذه العملية عوامل موضوعية ونحوية واجتماعية تحيط بمستعمل اللغة، فيتترك بصمات خاصة تميز اثره المكتوب والمنطوق عن بقية الآثار. "فالأسلوب هو طريقة التعبير اللغوي التي تميز الشخص، وتلقى اهتماما كبيرا وخصوصا لانها تتضمن اللغة المحكية إلى جانب اللغة المكتوبة".⁴

¹ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 1 ط1 (بيروت: دار صادر) مادة سلب

² - Georges Louis Buffon. **Discours sur le style**. (Paris: 1953), P.13.

³ - Charl. Bruneau, **La stylistique romane philologie**, E.5 (1951-1952), P. 13

⁴ - فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانيه، ترجمة خالد محمود جمعة (دمشق: دار الفكر، 2003)، ص. 19.

وبالنظر إلى باث الخطاب والمخاطب أو المتلقي ونص الخطاب هناك تعريف للأسلوب ؛ بالنظر إلى المرسل أو باث الخطاب " الأسلوب هو الكاشف عن فكر صاحبه ونفسيته يقول أفلاطون : كما تكون طبائع الشخص يكون أسلوبه" إن جمال الأسلوب والانسجام والرشاقة والإيقاع الجيد كل ذلك يتوقف على بساطة النفس، البساطة الحقة التي تتصف بها روح تجمع بين الخير والجمال".¹

أما من حيث النظر إلى المتلقي فالأسلوب ضغط مسلط على المتخاطبين، وإن التأثير الناجم عنه يعبر إلى الإقناع أو الإمتاع. وأخيرا النظر من زاوية نص الخطاب؛ فإن الأسلوب هو الطاقة التعبيرية الناجمة عن اختيارات اللغة وهو تقجير طاقة التعبير الكامنة في اللغة.

من خلال ما تقدم يمكن القول أن الأسلوب هو مجموعة من الالفاظ، يأتي بها الكاتب في نظام معين أو نسق يصطفيه لما يجد به من الجمال، ويرى به من عناصر البهاء والرونق. ولغتتا العربية فائقة القدرة، تزخر بالالفاظ الجميلة والعبارات، تمكن الأديب أن يختار، من مفرداتها ما يشاء، وينظمها بالطريقة التي يريد ليعبر عن أدق المعاني واصدق المشاعر. فالأسلوب إذن هو إنشاء نص عن طريق اختيار عناصر من النظام اللغوي وبناءها في مرحلة معينة، وهو الطريقة التي يسلكها الأديب، للتعبير عما يجول في ذهنه من أفكار ومعان، وما يختلج في قلبه من مشاعر وأحاسيس، كما أنه طريقة للتعبير عن قيم شعورية وفكرية، واتفق النقاد على أن عناصر الأسلوب ثلاثة، أفكار وعواطف وصور، وهذا لا يعني أن النص قابل للتجزئة، إذ لا يمكن للالفاظ أن تأتي خالية من المعاني والعواطف، كما لا يمكن للعواطف والأفكار أن تجيء بدون اللفظ

¹ - أفلاطون، الجمهوريه، ترجمة فؤاد زكريا (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2003)، ص. 266.

المناسب الذي يعبر عنها تعبيراً صادقا ومناسبا. وعليه يمكن القول ان لاسلوب ثلاثة انواع:

1— الاسلوب السهل البسيط، يتميز بالبساطة والبعد عن الزخرفة، ويعتمد اللغة العادية لان غرضه تعليمي إخباري.

2— الاسلوب الوسط ويتميز باستخدام الزخارف في التراكيب، وهدفه هو الحوار والتعبير الواضح .

3— الاسلوب الرفيع العالي ويهدف إلى إثارة الخلجات العاطفية للسامع، ويتميز بالدقة واستعمال كل وسائل الزخرف الفني. والملاحظ ان هذه الانواع الثلاث للاسلوب لا تتحدد بظهورها في عمل او نص معين، ولكن الذي يحددها ويحكم عليها بانها من النوع الاول او الثاني او الثالث هو المتلقي الذي يجب ان يكون خبيراً يحسن التدقيق ليشهد عنده النص ولادة ثانية.

فالاسلوب إذن ظاهرة ملازمة للغة، إذ اللغة تستعمل كلماتها يوميا كاستعمال القطع النقدية، اما العمل الاسلوبي فهو انتقاء واختيار يستخدم ما تميز من هذا النظام اللغوي فكل نوع من انواع الاسلوب يتميز بنموذج خاص من الانتقادات المتواترة التي تنضوي تحت اجزاء غير إجبارية في اللغة، بحيث يتم تنظيم هذه الاجزاء وتنسيقها لتشمل دلالات نحوية وصوتية في بناء مقال لغوي. فاللغة باعتبارها مؤسسة اجتماعية تختلف من زمن إلى اخر ومن مكان إلى اخر تتميز في كل مجتمع بخصائص وقواعد صارمة لا يمكن الخروج عنها، إلا انه داخل هذا النظام الصارم نجد المبدع يقوم بتشويه اللغة بخرقه لهذه القواعد خرقاً يحملها بواسطته من المألوف إلى اللامألوف. وهذا هو موضوع الاسلوبية التي تقوم بتحليل هذه الانتهاكات الفردية انطلاقاً من النص والكاتب والمتلقي، لتقف على القيم الفنية والجمالية، ثم مقارنة هذا العمل باعمال لغوية اخرى في نفس المجال او في غيره. يقول جون كوهن: "ان الاسلوب هو كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مطابقا للمعيار

المالوف...إنه انزياح بالنسبة لمعيار، أي أنه خطأ ولكنه خطأ مقصود".¹ وبذلك تظهر اللغة الإبداعية التي تسمح بهذه الإنزياحات على حساب اللغة العادية فتجذب القارئ للإقبال على العمل الفني وتدوقه إلى درجة الاستمتاع والإثارة والاقتناع به.

الاسلوبية:

الاسلوبية وتقابلها كلمة (استيلوس) في اللاتينية ومعناها المنقش للحفر والكتابة، وقد استعملها اللاتينيون مجازاً للدلالة على الحفر وشكلية الكتابة، ومع الزمن صارت تدل على الطريقة الخاصة للكاتب في التعبير. وتعد الاسلوبية منهجاً من مناهج قراءة النصوص، وهي علم يرفي بموضوعه ليجعل منه علماً قائماً بذاته متعدد المستويات مختلف المشارب. فهي علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ويرصد الخصائص الجزئية والكلية له، "فالاسلوبية علمية في معالجتها للنص الأدبي، وعلم الاسلوب يقتضي ضوابط العلوم شأنه شأن علم النفس وعلم الجمال، فلا أحد يقارب النصوص بالشرح أو يكشفه بالتأويل إلا وله مصادرته النوعية".² لذلك جاء تعريف جاكسون للاسلوبية بأنها: "بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً، وعن سائر اصناف الفنون الإنسانية ثانياً".³

فالكلام الفني له مميزاته التي تسمو به عن الكلام العادي، وهو الذي ينعت بالعالى والرفيع، ثم إن الكلام الفني الواحد يختلف هو الآخر من شخص إلى آخر ومن فن إلى آخر. وبالتالي تسعى الاسلوبية إلى إظهار مميزات الخطابات، وذلك بتحليلها وتصنيفها حسب جمالياتها الفنية، فهي تبحث عن الخصائص الفنية والجمالية التي تميز نصاً عن

¹ - جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومحمد العمري (المغرب: دار توبقال للنشر، 1986)، ص. 15.

² - عبد السلام المسد، الأسلوبية والأسلوب (تونس: الدار العربية للكتاب، ط2. 1982)، ص. 6.
3- Leonard Jakobson, *Essais de linguistique générale*. Trad. Barcelone (1975), p.210.

آخر. كما تسعى الأسلوبية إلى دراسة الأساليب والوقوف على مدى تمايزها من خلال قدرة كل كاتب.

والأسلوبية مصطلح جديد ظهر عام 1875 حيث اطلق على دراسة الأسلوب عبر الإنزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية. ويعد شارل بالي مؤسس علم الأسلوب الحديث، بصور كتابيه: "في الأسلوبية الفرنسية" و "المجلد في الأسلوبية" عام 1902، فيكون بذلك مفهوم الأسلوبية وليد القرن العشرين، وقد ارتبط بالدراسات اللغوية، حيث اختلف عن مفهوم الأسلوب السابق عن الأسلوبية في الوجود، والذي ارتبط بالدراسات البلاغية القديمة. فهو يقوم على عملية انتقاء واختيار المادة الأدائية، وهذه العملية تقوم على جانبين: الأول شعور فردي وجداني يمليه الشعور بالإبداع، والثاني اجتماعي لغوي فني تفرضه القواعد والاعراف والطقوس الممارسة لدى الكتاب والمتقنين، يقول نور الدين السد: "الوضوح يتحقق باختيار الكلمات المعينة غير المشتركة بين معان والتي تدل على الفكرة كاملة، والاستعانة بالعناصر الشارحة أو المقيدة أو المخيلة، واستعمال الكلمات المتقابلة المضادة إذا كان ذلك يخدم المعنى والفكرة، والبعد عن الغريب الوحشي، والعمد إلى لغة الناس وما يستطيعون إدراكه".¹ فالأسلوب هو مجال درس الأسلوبية؛ فهي تسعى جاهدة للوقوف على الملامح والسمات المتميزة في تكوينات العمل الأدبي، وبواسطتها يكتسب تميزه الفردي أو قيمته الفنية بصفته نتاجا إبداعيا لفرد بعينه، أو ما يتجاوزه إلى تحديد سمات معينة لجنس أدبي بعينه. فيختلف الكلام في تأليفه باعتباره تطبيقه على المقاصد والمعاني كما تختلف الألوان المملوءة بالماء باختلاف جنسها.² فالأسلوبية تقوم بتحليل العمل الأدبي وتصنيفه حسب جمالياته الفنية باتخاذها لغة الخطاب حقلا للدراسة. يعني هذا أن سلامة التركيب من جميع نواحيه (صوتيا ونحويا ودلاليا وصرفيا) يدل على

¹ - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (الجزائر: دار هومة، 1997)، ص. 64.

² - ابن خلدون، المقدمة (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1967)، ص. 474.

ملاحظ الانتقاء فيه، فالانتقاء إذا كان دقيقا يخدم النص والقارئ يأتي التركيب سليماً". فالكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسه ولا عن تصوره للوجود إلا انطلاقاً من تركيب الأدوات اللغوية تركيباً يفضي إلى إفراز الصورة المنشورة والانفعال المقصود.¹ وتؤثر على التركيب السليم كذلك الحالة النفسية للمؤلف، والسمات الثقافية لكل عصر "فكل كاتب له مزاجه النفسي وثقافته المميزة، كما أن لكل عصر سماته، ومزاجه الفكري، ومن ثم يختلف كاتب عن كاتب، كما يختلف أسلوب عصر عن عصر".²

لذلك نجد شارل بالي (1865.1947) يركز في دراسة الأسلوبية على الطابع العاطفي للكلام، ويعتبر اللغة هي المعبر عن الفكرة من خلال موقف وجداني، وعليه قسم الخطاب إلى نوعين؛ الأول حامل لداته وغير مشحون، والثاني حامل للعواطف والانفعالات. ويرى أن مهمة علم الأسلوب هي استخراج ما هو عام في نزوات التعبير الشخصي، وفرز ما فيه من ميول مشتركة، أي البحث عما ينفلت به الكاتب من زمام نفسه، وينقاد بلا وعي لقوانين لغته أي الإعراب عن الإحساس بواسطة اللغة.³ نلاحظ أن دور الأسلوبية عند شال بالي هو تتبع بصمات الشحن في الخطاب، فهي تعنى بالجانب العاطفي، وتقف على استقصاء الكثافة الشعورية التي يشحن بها المتكلم خطابه.

أما جاكبسون فيرى أن إحدى وظائف اللغة هي الوظيفة الإنشائية التي تجعل من الرسالة اللغوية غاية ووسيلة معاً، فيعدل منشئها فيها عن الكلام العادي ليوظف الكلمات توظيفاً فنياً يخرج فيه على المألوف، فيوفر العناصر الفنية التي تعيد صياغة المعنى، وتعطيه معنى جديداً. لذلك فالعمل الأدبي عند جاكبسون نلاحظ أن العناصر المستخدمة في التعبير تتخذ ترتيبها الأفقي، ثم يكتسب كل عنصر معناه بالنظر إلى ما يقوم على مبادئ هما التعادل والتجاور، فالأول يضبط انتقاء المؤلف للوحدات الكلامية، والثاني يرتب

¹ - نور الدين السد، المرجع السابق، ص. 169

² - رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث (الإسكندرية: دار المعارف، 1993)، ص. 49.

³ - Charl Bally, *Traite de stylistique Française* E.3 (Paris: 1951), P.16

الوحدات اللغوية في محورها الأفقي المتعاقب.¹ نلاحظ أن العناصر المستخدمة في التعبير تتخذ ترتيبها الأفقي، ثم يكتسب كل عنصر معناه بالنظر إلى ما يستدعيه من عناصر أخرى. وبذلك يتشكل الأسلوب الشعري الذي يقوم على توافق بين اختيار الأدوات التعبيرية من النظام اللغوي وتوزيعها في تراكيب تقتضيها القواعد النحوية.

أما ريفاتير فقد حدد مفهوم الأسلوبية بأنها علم يعنى بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية السنية تتحاور مع السياق المضموني تحاورا خاصا، ينبثق من المعرفة اللسانية وأن تعاملها مع النص الأدبي مستمد من اللسانيات.² فيفرق بين الكلام العادي والإنتاج الأدبي الذي يتضمن خصائص أسلوبية والتي من بينها توجيه المتلقي توجيهها يؤول به إلى تفكيك النص اللغوي على وجه معين ومخصوص.

من خلال كل ما سبق يمكننا القول أن هناك تداخلا بين الأسلوب والأسلوبية، إلا أن الدراسات الحديثة جعلت من الأسلوبية علما يختص بدراسة الأساليب. فالأسلوبية تحيط برقعة اللغة كلها ابتداء من زاوية الأصوات حتى الزاوية الصرفية وابنوية الجملة، حيث تقوم بدراسة وصفية، فتتظر:⁽²⁾

— إلى معدل التكرار لبعض العناصر اللغوية التي تتكرر أكثر من غيرها، وهذا يشير إلى اعتماد المبدع عليها أكثر من غيرها، فتقوم الدراسة بإحصائها وبيان النواحي الدلالية التي تتضمنها .

— مدى الخرق والعدول عن سنن اللغة التي تعد وسيلة للتواصل باقرب الطرق. فالمبدع يسعى إلى عرقلة وظيفة اللغة التوصيلية، وهو ما يسمى بالانزياح عن طريق المجاز

¹ - إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظريه النص (عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ص. 116.

² - محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1989)، ص. 12.

2 - خليل. المرجع نفسه، ص. 136.

والعدول والتوسع وما يصاحب ذلك من وظيفة جمالية. فتوضح هذه الانحرافات (تكرار صوت، قلب نظام كلمات، بناء تسلسلات متشابهة من الجمل) وتبين الوظيفة الجمالية كالتأكيد والوضوح أو عكس ذلك كالغموض.

— عملية الاختيار الواعي لادوات التعبير (مفاتيح النص) من قلب النظام اللغوي لتأدية المعنى والتعبير عنه، فيتم ذلك على أساس التعادل والتشابه أو الاختلاف أو على أساس الترادف والتحالف.

— النظر إلى الجانب التركيبي، فتوضع المقولات النحوية في مقابلات ومتباينات (العداد، الجنس الحالات، درجات المشابهة، الزمن، الصيغ) فيتم التركيب على أساس التشابك بين الجمل، والتقارب بين العناصر المجاورة. فتتوافق المعاني المراد التعبير عنها وطريقة الاداء اللغوي مع القواعد النحوية التي تراعى خلال تأليف الجمل.

جذور الاسلوبية:

لو اردنا الوقوف على الجذور الاولى للاسلوبية، نجد لها في الكلام الطيب الذي امتاز به العرب قبل البعثة، فقد ارفهوا كلمات لغتهم، واسلوب خطابهم، وملاحظة جرس الكلمات وموسيقى العبارات، وانسجام الحروف، ومؤاخذة المعاني للالفاظ ومراعاة اوجه الإعراب، وذلك لقوة مداركهم وعلو افكارهم ونزوعها إلى السمو. فتدققوا القول وتخبروا احسنه الذي اعتمد على اللمح السريع والنظر الخاطف، فلا يكون هناك زمن مستغرق بين الفكر والقول. فكان منهم اللفظ الجزل، والقول الفصل، والكلام الفخم، كما كانت منهم الكلمات الجامعة والالفاظ الناصعة، وكان منهم الإيجاز والإطناب. لذلك فلما جاء القران الكريم جاء في اعلى درجات البيان، من حيث لفظه وإيقاعه وصوره، فخاطب عقول العرب، وطرق اسماعهم بعذب الكلمات فانسأقت منها إلى القلوب في معان محكمة وحقائق بيّنة وشرائع منظمة. فإذا رجعنا إلى سوره وإياته نبحت عن ملامح الاسلوبية فيه

نجد ه حافلا بذلك؛ ففي قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعينا وقولوا انظرنا }¹ يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسير الآية: "راعينا امر من رعاه يراعيه إذا حرصه بنظره من الهلاك والتلف، واطلق مجازا على حفظ مصالح الشخص والرفق به، وقد ابدل الله المسلمين هذه الكلمة بكلمة أخرى (انظرنا) لان الكلمة الاولى كان يستعملها المنافقون في سرهم لشتتم الرسول صلى الله عليه وسلم".² وجاء هذا الاستبدال لتقييد معاني الكلمات في حضرته صلى الله عليه وسلم حتى لا تبقى على عمومها فتحمل معاني لا يقصدها

المسلم. كذلك قوله تعالى: { ولتعرفنهم في لحن القول }.³ ولحن القول الكلام المحال به إلى غير ظاهره؛ بحيث تكون هناك الغاز او تورية او تعريض،⁴ فتدل الآية على ان طريقة الكلام تحمل شحنات نفيسة تكشف عن خبايا وحقائق اصحابها، لقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: "ما اسر احد سريرة إلا ابداهها الله على صفحات وجهه وفلنات لسانه". ومنه ايضا قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: { واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي }.⁵ فموسى سال الله تعالى سلامة الة التبليغ وهو اللسان، بان يرزقه فصاحة التعبير والمقدرة على اداء مراده باوضح عبارة.⁶

واعتراف الوليد بن المغيرة وهو الد اعداء الرسول صلى الله عليه وسلم بحلاوة وجزالة الاسلوب القراني في قولته المشهورة: "والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أسفل له مغدق وإن اعلاه لمتمر... ما يقول هذا بشر".⁷ وإذا عدنا إلى الحديث النبوي الشريف، وجدناه ايضا حافلا بالاساليب البليغة التي تضرب في اعماق النفس، ومنها قوله

¹ - سورة البقرة، الآية: 104

² محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 1 (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت)، ص 651-650.

³ - سورة محمد، الآية: 30

⁴ - محمد الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، الجزء 10، ص. 122.

⁵ - سورة طه، الآية: 27-28

⁶ - محمد الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، الجزء 7، ص. 211.

⁷ - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الجزء 2 (بيروت، لبنان: شركة أبناء شريف الأنصاري، د.ت)، ص. 326.

صلى الله عليه وسلم: "أوتيت جوامع الكلم".¹ فجوامع الكلم جامعة لكل خصائص الكلام الرائع والمنطق والحسن. قال ابن الأثير المراد بجوامع الكلم: "انه صلى الله عليه وسلم أوتي الكلم الجوامع للمعاني... وهو ان لنا الفاظا تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه اخواتها مما يجوز ان يستعمل في مكانها... كما ان لنا الفاظا جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها"² اي ان هناك من الالفاظ القليلة التي تدل على معان كثيرة. ويبدو ان جوامع الكلم اوسع مدلولاً مما قصرت عليه. فجوامع الكلم، جامعة لكل خصائص الكلام الرائع، والمنطق الرائع. فحديثه (صلى الله عليه وسلم) جامع لصفات الحسن. وقد لفت انتباه امّ معبد حلّو منطق فوصفت جانباً منه: كان (حلّو المنطق، كان منطق خرزات نظم يتحدث). فاشارت في وصفها هذا إلى حقيقة يتميز بها حديثه (صلى الله عليه وسلم) — وما اكثر خصائصه — وهي حسن الإلقاء الذي يركز على الجرس والنبر ومراعاة مواطن الفصل والوصل. وقد وصف الجاحظ اسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: "لم تسقط له صلى الله عليه وسلم كلمة، ولا زلت به قدم ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم ولا افحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه".³

ولم يجتمع قسط من الفن والحس الجمالي كما اجمع لعلي بن ابي طالب، فكلامه موجز على وضوح، جيش تام الانسجام لما بين الفاظه ومعانيه واغراضه، حلّو الرنة في الادن، وعلي رضي الله عنه يرفق ويلين في المواقف التي تستدعي الشدة، ويشد ويعنف في غيرها من المواقف. فاسلوبه تتوفر فيه صراحة المعنى وبلاغة الاداء، وسلامة الدوق،

¹ - صحيح البخاري، المجلد 3، رقم الحديث 1087 (عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع) ورواية الحديث فيه "بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب، فبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي".

² - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة (القاهرة: نهضة مصر، د.ت.) الجزء 1. ص. 80.

³ - أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: مؤسسة الخانجي، 1975)، الجزء 1. ص. 17.

وهذه بعض التعبيرات الحسان من قوله: "من لان عوده كتفت اغصانه"، "كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع"، "إذا اقبلت الدنيا على احد اعارته محاسن غيره، وإذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه"، ويقول ايضا: "يعلم عجيج الوحوش في الفلوات، ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف الحيتان في البحار الغامرات، وتلاطم الماء بالرياح العاصفات".

تم إننا لوعدنا إلى البلاغة العربية لوجدنا ان العلاقة بينها وبين الأسلوبية هي علاقة السابق باللاحق، فكما ان للسابق فضل سبقه، فإن للاحق فضل تجديده. لانه لا يمكن الانتساب إلى البلاغة وحدها ورفض الأسلوبية فهذا لا يحقق للبلاغة نصرا، كما انه لا يمكن الانتساب للأسلوبية ورفض البلاغة لان هذا يجرّد الأسلوبية من تميزها. فالبلاغة "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" وهذا التعريف تعريج على الاساليب المتنوعة في استخدامها بين المتفّن والمتلقّي والرسالة المرسلّة بينهما في الوانها البلاغية والتركيبية.¹ وهي علم ادبي يتعامل مع النصوص الادبية من حيث هي إبداع ادبي اولا، ومن حيث هي بناء لغوي ثانيا. فهي اصل من اصول الفن يظهر بموجبها حسن الكلام وجودته وجماله لما يحتويه من معان قيمة وتراكيب صحيحة وانفعالات صادقة وصور جميلة. يعرفها الرمانى بانها إيصال المعنى إلى القلب في احسن صورة من اللفظ.² فالرمانى في تعريفه للبلاغة يربط بين المعنى واللفظ وتلازمهما تلازما تاما لإيصال المعنى إلى قلب السامع، فهو من ناحية يهتم بالعمل الإبداعي، ومن ناحية اخرى بالمتلقي الذي يجب ان يؤثر فيه هذا العمل الإبداعي، فيجعله يهتز له ويتجاوب معه.

¹ - محمد بركات ابو علي، البلاغة العربية في ضوء الاسلوب ونظريه السياق (عمان، الاردن: دار وائل للنشر، 2003)، ص.7.

² - الرمانى، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغول سلام (القاهرة: دار المعارف، 1970)، ص. 75.

فقد اعتنت البلاغة باللفظ والمعنى، ودار حولهما جدال كبير، انتهى إلى رأي وسط يجعلهما وجهين لعملة واحدة. كما اعتنت البلاغة بحال المخاطب، فتحدث البلاغيون عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وعبر ابن خلدون على ذلك بقوله: "لقد عبر العرب بالشعر عن مختلف العواطف والاحاسيس التي تخالجهم، فقد كانوا عن طريقه يؤثرون في غيرهم ويحملونهم على الحماس ويغرسون فيهم اخلاقهم ويدلونهم عن حسن الشيم"¹. يعني هذا ان من اغراض البلاغة التعليم والتأثير.

وإذا رجعنا إلى علماء اللغة والبلاغة العربية نجد الجذور الاولى للاسلوبية موجودة في كلامهم، وفي تناولهم للمسائل المختلفة، فقد عرف التراث العربي الظاهرة الاسلوبية ضمن الدرس البلاغي ولو ان مباحث الاسلوبية لم تحدد ولم يشر إليها بمصطلحاتها الحديثة، ولقد انطلق العرب في درسه اللغوي من النص، وكانت نظرتهم للاسلوب اثرا من اثار النص. ونقف على هذه الجذور عند الجاحظ (255 هـ) عندما اشترط في مجال الكلام عن اللفظ والمعنى مقاييس اجملها في مفهوم (المقدار) فقال: "يحتاج اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشو ويحطه عن غريب الإعراب ووحشي الكلام"². ويرى ان الكلام لا يمكن ان نصفه بالبلاغة إلا إذا سابق لفظه معناه إلى السمع، وسابق معناه لفظه إلى القلب، فيقول: "لم يكن لفظه إلى سمعك باسرع من معناه إلى قلبك"³.

ويرى بان هناك مواطن للإيجاز واخرى للإطناب فالإيجاز يحتاج إلى الفاظ قليلة والإطناب يحتاج إلى الفاظ كثيرة، والمعنى الشريف يحتاج للفظ الشريف، والمعنى الخفيف يحتاج للفظ الخفيف فيقول: "إنما الالفاظ على قدر المعان"⁴. كما تحدث الجاحظ عن براعة التناسق والتنسيق في الكلمات التي يظهر بها جمال التركيب الذي يدل على براعة

¹ - عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، المقدمة (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1967)، ص. 1098.

² - المصدر نفسه، ص. 90.

³ - المصدر نفسه، ص. 111.

⁴ أبو عثمان الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، ص. 8.

صاحبه في التأليف. ويميز بين أسلوب القرآن والأساليب الأخرى، ويرى انه متميز من الكلام.

اما ابن طباطبا (322 هـ) فقد التمس للأسلوب مفهوما عندما تحدث عن طريقة الشاعر عند النظم، فقال: "المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه فكره نثرا، واعد له ما يلبسه إياه من الالفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه والوزن الذي يسلس له القول عليه". حيث يشير إلى التلاؤم الذي يجب ان يكون بين اللفظ والمعنى، والتوفيق بين القوافي والوزن، وهو بذلك يشبه الشاعر بالنساج الحادق عندما يقدم نظمه في احلى حلة. فابن طباطبا تحدث عن الأسلوب في تركيزه على انتقاء الالفاظ، والتوفيق بينها وبين المعاني، وتناسب القوافي وسلاسة القول، فالأسلوب عنده مركب من مجموعة من العناصر يسكبها الشاعر في نظمه، ويصبو بها للتأثير في السامع. ويشبه الشاعر بالنساج الذي يجمع مواده الأولية، ويتحایل في صنعها لتخرج احسن قطعة تجد لها رواجاً بسهولة. ويرى انه من الواجب على صانع الشعر ان يصنعه صنعة متقنة لطيفة مقبولة حسنة، فيتقنه لفظاً ويبدعه معنى، ويسوي اعضاءه وزناً ويعدل اجزائه تأليفاً، ويحسن صورته إصابة ويكثر رونقه اختصاراً ويكرم عنصره صدقاً، ويفيده القبول رقة ويحصنه جزالة ويذنيه سلاسة، ويعلم انه نتيجة عقله وثمره لبه وصورة عمله والحاكم عليه اوله.¹

اما الرمانى (384 هـ) ففي كلامه عن البيان وضع في اعلى المراتب ما جمع اسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس تقبل البرد. وحتى ياتي على مقدار الحاجة، ويرى ان تلازم اللفظ والمعنى ضروري لتحقيق وجود البلاغة. ويضع لهذا النوع من القول (القول البليغ) مميزات جعل اولها التلاؤم. الذي يراه موهبة وسجية ياتي بها الناس عن طريق الفطنة وشدة

1- احمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الستار (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.)، ص. 11.

الإحساس،¹ وهم في ذلك يتميرون كل حسب طبيعته ومقدرته. واعتبر الفاصلة مجمع الحسنيين اللفظي والمعنوي تحتاج الالفاظ إليها، فهي التي يظهر فيها التعبير في اجمل عبارة، وتحتاجها المعاني ايضا لتدل عليها.

اما الاسلوب عند الباقلائي (403 هـ-) فهو الطريقة التي ينظم فيها الكلام نظاما يجعله على نمط واحد، ومن جنس واحد كيفما تصرف في الموضوعات واختلف من موقع إلى اخر، فتكلم عن اهل البصيرة والادب ومعرفتهم بطرائق كتابية في ميدان الشعر والنثر؛ فهم قد يتعرفون على طريقة الشاعر ونسجه في قصائده بما فيها تلك التي لم يقرأها من قبل، وشبه ذلك بتعرف المرء على خط صاحبه بين عدد من الخطوط، وهذا يعني ان الاسلوب يعكس صفات الكاتب او الشاعر الذاتية مثلما تعكس الخطوط مهاراته التي لا يشاكلة فيها احد. وفي هذا المجال يقول الباقلائي: "فإنه لا يخفى على احد ان يميز سبك ابي نواس من سبك ابن الرومي او سبكة من سبك البحتري، ولا يخفى عن احد ان يميز بين شعر الاعشى وشعر امرئ القيس او بين شعر النابغة وزهير او بين شعر جرير والاخلط، فلكل منهج معروف وطريق مألوف".²

وتحدث عبد القاهر الجرجاني (471 هـ-) عن نظم الكلام على نحو يجعل من الشاعر صانعا يتعامل مع مادته الخام تعاملًا فنيًا؛ فإدراكه لتقنية صناعته، ومقدار وعيه بما يصنع يبذل من الجهد والتعب في الانتقاء والتنسيق والترتيب، على اعتبار ان المبدع يعيد تشكيل الاشياء ويضعها في نظام فني جديد. وهذا لا يستطيع القيام به اي شخص

¹ - الرمانى، المصدر السابق، ص. 94.

² - أبو بكر الباقلائي، إعجاز القرآن. تحقيق احمد صقر ط3 (القاهرة: دار المعارف. 1971)، ص. 121.

فيقول: "ما كل فكر يهتدي إلى وجه الكشف عما اشتمل عليه، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه، فما كل احد يفلح في شق الصدفة ويكون في ذلك من اهل المعرفة".¹

فقد ساوى عبد القاهر الجرجاني بين الأسلوب والنظم، وذهب إلى ان الأسلوب ضرب من النظم، وجعل الأسلوب يقوم على اصول اللغة العربية وقواعدها، لان النظم عنده يجب ان ينضبط بالنحو "ليس النظم إلا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها".²

أكد عبد القاهر الجرجاني ضرورة الالتزام بعلم النحو في النظم، وهو في ذلك يفرق بين "اصول النحو" وهي قوانين التركيب، و"علم النحو" الذي يحصره في الخصائص الفنية أو الادبية للكلام شعرا كان أو نثرا. فيقول: "إنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير ان ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر... وفي الشرط والجزاء... وفي الحال... وفي الحروف التي تشترك في معنى تم ينفرد كل واحد بخصوصيته... وينظر في الجمل فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل".³ فاتباع علم النحو بهذه الصفة يجعل فروقا بين الأساليب المختلفة، لأنها فروق في الدلالة تحول الكلام من مستوى إلى مستوى آخر، وهي فروق شخصية، وخصائص فردية تحدد مستويات الكلام الادبي وتفرق بين كلام وكلام.⁴ ويرى عبد القاهر الجرجاني ان هناك قدرا هائلا متاحا للمتكلم في اختيار الصيغ والأساليب المعبرة عن الغرض أو المعنى، ويشبه علاقة المتكلم أو الشاعر بالفاظ اللغة بعلاقة الصانع بمادته الخام، فالمادة الخام مادة لم يصنعها الصانع،

¹ - عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة في علم البيان، صححها محمد رشيد رضا (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)، ص. 143.

² - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.)، ص. 28.

³ - المصدر نفسه، ص ص. 81-82.

⁴ - نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل (الدار البيضاء: المغرب المركز الثقافي العربي، 2001)، ص. 162.

ولكنها مادة يعيد تشكيلها وفق تصور خاص وتصميم معين. كذلك الشاعر وعلاقته بالفاظ اللغة، فهو لا يبدأ الموضوع ويحدد دلالتها، ولكنه يعيد تشكيلها في علاقات جديدة لنتج شكلا "فكما لا يشتبه الامر في ان الديباج لا يختص بناسجه من حيث البرسيم، والحلي بصائغها من حيث الذهب والفضة ولكن من جهة العمل والصناعة كذلك ينبغي ان لا يشتبه ان الشعر لا يختص بقائله من جهة نفس الكلم واوضاع اللغة"¹

وتكلم ابن الاثير (ت 637 هـ) عن الاسلوب في الصناعة اللفظية لما وضع ثلاثة اشياء يحتاجها صاحب الصناعة، اولها اختيار الالفاظ المفردة، وثانيها نظم كل كلمة مع اختها المشاكلة لها، وتالته ان يكون هناك غرض مقصود من تلك الصناعة اللفظية.² ويشبه المرحلة الاولى، وهي مرحلة الاختيار والانتقاء للالفاظ بعملية اختيار الصانع للاليء قبل وضعها وتنظيمها في عقد بحيث تقترن كل لؤلؤة منه باختها المشاكلة لها، وهو في ذلك يضع في حسبانه الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فقد يوضع إكليلا على الراس او سوارا في اليد او قرطا في الاذن او قلادة في العنق، فكل هذه المواضع تتطلب عقدا خاصا منظوما بطريقة مخصوصة. وان عملية الاختيار والتنظيم عملية لا يستطيع اي احد إتقانها إلا من دق فهمه وجل نظره، فيقف على اسرار ما يستعمله من الفاظ ويضعها في موضعها.

ويرى ابن الاثير ان ارباب الخطابة والشعر نظروا إلى الالفاظ ونقبوا عنها ثم عدلوا إلى الاحسن منها فاستعملوه وتركوا ما سواه. وهكذا تكون عملية الاختيار عملية إدراكية واعية، فيها جهد ومعاناة وحيرة، وذهب إلى ذلك منذر عياشي حينما قال: "إن الاختيار سند إلى مبدا المفاضلة بين طاقات اللغة في لحظة زمنية محددة من لحظات

¹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص. 362.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، الجزء 1، ص. 163.

استخدامها،¹ هذه المفاضلة التي ترتبط بفكرة الصقل لدى الشاعر ليكون شعره مستويا، فيلعب الذكاء والفطنة والإحساس دورا فاعلا في تحديد هذا الاختيار.

وتكتمل الرؤية حول إحاطة التراث العربي بالأسلوبية فيما قدمه حازم القرطاجني (ت 684). حيث تظهر لماسته في اهتمامه بالوعي أثناء العملية الإبداعية؛ فتحدث عن قوى الإبداع التي حصرها في القوة المائزة والقوة الصانعة والقوة الحافظة التي هي ضرورية لكل شاعر في إنتاج الشعر، ويعني بالقوة الحافظة ان تكون خيالات الفكر منتظمة محددة في اغراض الشعر المعروفة، فإذا اراد غرضا من هذه الاغراض وجد عنده ما يناسبه من خيال. فيتخيل الشاعر مقاصد غرضه الذي يريد ان يكتب فيه، ثم يتخير له الأسلوب، ويقوم بترتيب المعاني فيه، وما يكون لها زينة. اما القوة المائزة وهي التي تمكنه من تمييز ما يحتاجه النظم او الأسلوب في غرض معين، وما لا يحتاجه. واخيرا القوة الصانعة وهي التي تقوم بضم الالفاظ والمعاني، ووضع التركيبات والوسائل الأسلوبية التي تلتئم بها اليات الصناعة.²

ويرى حازم القرطاجني ان اللغة هي اساس العملية الإبداعية، لان الإبداع يكمن في القدرة على توظيف اللغة توظيفا جماليا يعتمد المهارة في الاختيار والجودة في التأليف فيقول: "القول في شيء يصير مقبولا عند السامع في الإبداع في محاكاته وتخيله على حالة توجب ميلا إليه او نفورا عنه بإبداع الصنعة في اللفظ، وإجادة هيئته ومناسبته لما وضع بإزائه".³

فالشعر عند حازم إثارة المخيلة لانفعالات المتلقي، يقصد المبدع منها دفع المتلقي إلى اتخاذ موقف خاص، بمعنى ان صور الشعر ومخيلاته تنير كوامن النفس وصورها

¹ - منذر عياشي، في فضايا الأسلوب والأسلوبية، ببير جبرو (بيروت، لبنان: مركز الإنماء القومي، د.ت.) ص. 76.

² - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981)، ص. 43.

³ - المصدر نفسه، ص. 346.

المختزنة عند المتلقي، ومن هنا فالصورة -عند حازم- "لم تعد تشير إلى مجرد الشكل أو الصياغة فحسب، ولم تعد تحوم حول التقديم الحسي، وإنما أصبحت محددة في دلالة سيكولوجية خاصة تتصل اتصالاً وثيقاً بكل ما له صلة بالتعبير الحسي في الشعر".¹ والماخوذ من كلام الناقد الكبير أن الصورة قد تطور مفهومها عند حازم القرطاجني فلم تعد مقصورة على الشكل فحسب، بل شملت كل ما يؤثر في المتلقي بتغيير موافقه القديمة، أو باتخاذ مواقف جديدة بعد أن تتفاعل صور النص مع مخيلة المتلقي، كما ربط الناقد نفسه بين الجانب الفني لمصطلح الصورة، وبين الجانب النفسي كما يحرص حازم - عند تكوين الصور - أن يربط بين دلالة اللفظ ودلالة المعنى، وعنده أنها من المسلمات حتى أنه ليقارن بين دلالة المعاني والالفاظ ويعبر عنهما بصورة ذهنية، وهو إنما يحقق في ذلك من أجل أن يتفرغ لإتمام اللفظ بالمعنى وإتمام المعنى باللفظ، فيقول: "إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الدهن وأنه إذا أدرك حصلت له صورة في الدهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في أفهام السامعين واذهانهم".²

أما ابن خلدون فإن بحثه في الأسلوب يظهر من خلال ربطه بين الأسلوب والفن الأدبي، وبين الأسلوب والمنشئ، ويرى أن الأسلوب صورة ذهنية لا تأخذ الشكل المتجسد إلا بتمام التركيب اللغوي الذي يرتبط بالقدرة اللغوية لدى المنشئ، التي تتطلب معرفة المنشئ بالقواعد الصرفية والنحوية. وجعل من النحو والبلاغة والعروض آلات تغذي الأسلوب فيرى أنه "عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القوالب التي يفرغ فيها، ولا يرجع على الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتباره الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض، فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية".³ فابن خلدون يخرج الإبداع الفني عن البلاغة والبيان

¹ - جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1983)، ص. 361.

² - القرطاجني، المصدر السابق، ص. 18.

³ - ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 352.

والعروض، ويجعله في الصناعة الشعرية باعتبارها صورة ذهنية تغمر النفس وتطبع الذوق، وبها تتألف التراكيب التي تسمى بالأساليب فيقول: "إن الصناعة الشعرية ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة باعتبار انطباقها على تركيب خاص فتصير في قالب أو منوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة باعتبار البناء والإعراب فيرصها فيه حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام.¹ فالأسلوب يتمخض عن مراحل يكون بعدها عملاً فنياً.

يتضح لنا من خلال ما تقدم أن أسلوب الشاعر المبدع يظهر بناءه ونسجه للعبارة حتى كأنها بنيان مرصوص، ويذكر ابن خلدون أن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة "لكل مقام أسلوب يخصه من إطناب وإيجاز أو حذف أو إثبات أو تصريح أو إشارة أو كناية واستعارة".²

¹ - المصدر نفسه، ص. 352
² - المصدر نفسه، ص. 353-354.

الخاتمة:

وفي الختام يمكن القول إن الأسلوبية هي منهج حديث من مناهج البحث اللغوي، وإن تعريف الأسلوب لم يتفق عليه لأنه مرن يخضع لعوامل عدة تختلف من نص إلى آخر ومن شخص (الكاتب والقارئ) إلى آخر ومن زمن إلى آخر. ولو أننا وجدنا عنصري الاختيار والدقة يكاد يتفق عليه في تحديد الأسلوب.

كما توصلنا إلى معرفة العلاقة الوطيدة بين الأسلوبية واللغة؛ فالأسلوبية تحيط برفعة اللغة كلها ابتداء من زاوية الاصوات حتى الزاوية الصرفية والنحوية، والدلالية. والوقوف على العلاقة الوثيقة بين الأسلوب والأسلوبية باعتبار أن الأسلوب ظاهرة شخصية، تتجلى فيه ذات الكاتب وما يؤثر فيه من ظروف، وما في داخله من مؤثرات، وإن الأسلوبية لا يمكنها أن تدرس قدرا من المواد اللغوية دون الرجوع إلى الأساس النظري الذي تعتمد عليه وهو الأسلوب، لذلك نجد كلاهما يشترط الآخر.

وأخيرا تظهر العلاقة بين الأسلوبية والبلاغة، باعتبار أن الأسلوبية هي امتداد للبلاغة العربية. غير أن هذا الامتداد يختلف عن الأصل، كونه منهجا علميا، لا تتوقف الدراسة فيه على تعيين الظاهرة فقط وإنما ربطها بكل ما يحيط بها، وإعطائها بعدا دلاليا آخر. لذلك فهي علاقة وطيدة تتقلص فيها الأسلوبية أحيانا حتى لا تعدو أن تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي، وتتفصل أحيانا عن هذا النموذج وتتسع حتى لتكاد تمثل البلاغة كلها.

البيبلوغرافيا

- ابن منظور. لسان العرب. دار صادر. بيروت. المجلد 1. 1955
- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. دار سحنون للنشر والتوزيع تونس. (د.ت.).
- ابن الاثير، ضياء الدين. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر. قدمه وعلق عليه احمد الحوفي وبدوي طبانة. نهضة مصر (د.ت.).
- ابن طباطبا، احمد العلوي. عيار الشعر. تحقيق عباس عبد الستار. دار الكتب العلمية. بيروت.
- ابن بحر عثمان الجاحظ. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة. مؤسسة الخانجي. 1975.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. المقدمة. دار الكتاب اللبناني. بيروت. 1967.
- ابو عثمان، الجاحظ. كتاب الحيوان. تحقيق عبد السلام هارون. دار إحياء التراث العربي. بيروت. (د.ت.).
- افلاطون. الجمهوريه. ترجمة فؤاد زكريا. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر. الاسكندرية 2003
- بركات محمد ابو علي. البلاغة العربية في ضوء الاسلوب ونظريه السياق. دار وائل للنشر. الاردن. 2003.
- خليل، إبراهيم. الاسلوبية ونظريه النص. عمان. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط1. 1997.
- الباقلائي، ابو بكر. إعجاز القرآن. تحقيق احمد صقر. دار المعارف القاهرة. (د.ت.).
- البخاري. صحيح البخاري. المجلد 3. رقم الحديث. 1087. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. عين مليلة. الجزائر (د.ت.).
- الجرجاني، عبد القاهر. اسرار البلاغة في علم البيان. صححها محمد رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت. (د.ت.).
- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني. المكتبة العصرية. بيروت. (د.ت.).
- جون كوهن. بنيه اللغة الشعرية. ترجمة محمد الوالي ومحمد العمري. المغرب. دار توبقال للنشر. 1986.
- الرماني. التكت في إعجاز القرآن. تحقيق محمد خلف الله احمد ومحمد زغلول سلام. دار المعارف القاهرة. (د.ت.).
- رجاء عيد. البحث الاسلوبي معاصرة وتراث. دار المعارف الإسكندرية. 1993.

- السيوطي، جلال الدين. **الإتقان في علوم القرآن**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. شركة أبناء شريف الانصاري. بيروت لبنان. 1997.
- السد، نور الدين. **الاسلوبية وتحليل الخطاب**. الجزائر. دار هومة. 1997.
- ساندريس، فيلي. **نحو نظرية اسلوبية لسانيه**. ترجمة خالد محمود جمعة. دار الفكر. دمشق. 2003.
- عزام، محمد. **الاسلوبية منهجا نقديا**. منشورات وزارة الثقافة. سوريا. 1989.
- منذر، عياشي. **في فضايا الاسلوب والاسلوبية**، بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي، لبنان، مركز الإنماء القومي، (د.ت.).
- عصفور، جابر. **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**. دار التنوير للطباعة والنشر. بيروت. 1983.
- القرطاجني، حازم. **منهاج البلغاء وسراج الادباء**. تحقيق محمد الحبيب بن خوجة. دار الغرب الإسلامي. بيروت. 1981.
- المسدي، عبد السلام. **الاسلوبية والاسلوب**. الدار العربية للكتاب. تونس. ط2. 1982.
- أبو زيد، نصر حامد. **إشكاليات القراءة واليات التاويل**. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. 2001.
- _ Bally, Charl. **Traite de stylistique Française**. Paris. E.3. 1951
- _ Bruneau, Charl. **La stylistique romance philologie**. E.5.1951.1952
- Jakobson, Leonard. **Essais de linguistique générale**. Trad. Barcelone 1975.
- _ Louis, Georges. **Buffon. Discours sur le style**. Paris.1753.